

أيهما السابق..

في التجديد

ونظم الشعر الحديث؟

اختلف الكتاب في العراق وخارجه
في قضية الشعر الحر؛ من سبق في
نظمه؟ بعد أن تبارى الشاعران
نازك الملائكة وبدر شاكر
السياب في كثرة ما نظما
فيه . لأن أكثر الكتاب لم
يدرسوا الجذور الثقافية
والفكرية في العراق،
وحركات التطور
والتجديد فيه،
وحسب هؤلاء أن
الشاعرين هما أول من
جاء بالشعر الحر، مع أن
هذه الكلمة الانجليزية لو
طبقت على أكثر الشعر لا
تنطبق عليه؛ لأن المعنى قد
التبس على المثقف العربي،
وظهرت اصطلاحات متعددة منها:
(الشعر المنطلق) و(الشعر المرسل)
و(الشعر المنثور) وغيرها من
المصطلحات، وقد شرحتها في كتابي
(التجديد في الشعر الحديث..
بواعثه النفسية وجذوره الفكرية)



■ إبراهيم المازني



■ بدر شاكر السياب



بقلم:

أ.د. يوسف

عزالدين

ومنهم من عزا التجديد إلى محمد فريد أبو حديد، وإلى عبد الرحمن شكري، وإلى علي أحمد باكثير، الذي رد على أستاذه الإنجليزي بنظم مسرحيات، ليبرهن على وجود الشعر المرسل في الأدب العربي، وكانت معارك في مصر أصاب منها عبد الرحمن شكري الكثير، حتى سماه المازني «صنم الألاعيب» وفي مصر كان التجديد متأثراً بالشعر الإنجليزي الذي كان يدرس في المدارس، مع أن التجديد في العراق كان حاجة فنية أراد منها الزهاوي وشكري الفضلي وبسيم الزويب ومحمد الهاشمي الخروج عن الأسلوب القديم؛ حتى يمكن أن يعبر الشاعر عن حاجات نفسه وتفتق عواطفه، وبداية بشعر البند في القرن التاسع عشر وما قبل والذي لم يظهر بغير العراق.

إن دراسة الجذور الثقافية للشاعرين: بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، واتجاههما الفني هو الحكم الفصل في النتيجة. كان الشاعران في دار المعلمين العالية، ولم تكن الجامعة قد تأسست، وكان ثقل الدولة موضوعاً في هذه الدار التي كانت جامعة لكل التيارات العلمية والأدبية، وكان يصلها أساتذة من كل أنحاء العالم، وبخاصة مصر وإنجلترا، فخرج فيها جماعة أخذت الريادة في العلوم والآداب.

دخل السياب الدار في قسم اللغة العربية، ولكنه انتقل في السنة الثانية إلى قسم اللغة الإنجليزية، ولعل هذا يدل على أن الشاعر يريد شيئاً جديداً في الأدب يضيفه إلى محصولة في اللغة العربية.

وقد أكب على الدراسة، وتعرف على التيارات الأدبية من خلال محاضرات وكتب الأساتذة الإنجليز والعرب، الذين كانوا قد تخرجوا في إنجلترا.

وكانت الدراسة شاملة العصور الأدبية؛ فاطلع بدر وزملاؤه على شعر شكسبير، وبوب، وبايرون، ونقد هازلت، وت.إس. إيلوت، فتنبه إليه. وكان قد سبقه علي أحمد باكثير في نظم (رومي ووجوليت) و(أخاناتون) وسماه الشعر المنطلق، وهو مزيج من النظم المرسل الذي دعا إليه جميل صدقي الزهاوي، ومن النظام الحر، فهو مرسل من القافية، ومنطلق لانسيابه مع السطور، ولن يكون قائماً على الجملة التامة المعنى، سواء أكانت سطرًا أو أكثر (١).

فكانت تجارب التجديد في الشعر في العراق، وتجارب علي أحمد باكثير وعبد الرحمن شكري والمازني أمام الشاعرين واضحة المعالم.

إن الأدب هو صورة الثقافة العميقة اللاشعورية في ذهن الشاعر أو الكاتب، ولن يقدر على التخلي عنها، فيمكن أن تعرف جذوره الحضارية والفنية في إبداعه، وتعرف حتى حرفته وصفاته من دراسة شعره بعمق.

■ ■ ■ **هنول وأثرها في الشاعر** (٢): Edith Sit Well

فالشاعر المسلم تجد آثار الفكر الإسلامي تظهر في أدبه، وكذلك النصراني والبوذي واليهودي، وقد وجدنا الشاعر بدر قد هام حباً في أدب الشاعرة، وأخذ يقلده، ويترجم قصائدها شعراً إلى اللغة العربية، ويمكن أن يُحصى القارئ ذلك بوضوح في قصيدته (المسيح بعد الصلب) و(العودة إلى جيكور) وقصيدته (المطر) التي احتذى فيها حذو الشاعرة في قصيدتها

(Still Falls The Rain)
(مايزال المطر يسقط) والشاعرة امرأة كاثوليكية صادقة الشاعر والأحاسيس، فقلدها وأعجب بها..

والسؤال لماذا أعجبه شعرها؟

قد يكون التعليل النفسي لا يرضي أحباء بدر، ولكن الواقع يجب أن أقوله مع حبي وصادقتي له؛ فإن بدر السياب كان يحس بنقص كبير في نفسه، ويرى نفسه قبيح الصورة؛ فلأزم الشاعرة وكأنها صديقة تحنو عليه، وقرأ شعرها ليتمتع به ويسرح معها خياله. وهي في شعرها ترى في المسيح (المخلص) الذي يطرد الاضطهاد، ويحارب الظلم، وسوف يدخل من أحبه الجنة ويخلصه من العذاب، فرأى في ابتعاد النساء عنه كأنه المسيح، فأعجبته القصيدة ونظم قصيدة العودة إلى جيكور فيها:

■ ■ ■ **دراسة الجذور الثقافية لبدر شاكر السياب ونازك الملائكة، واتجاههما الفني.. هو الحكم الفصل في النتيجة.**

■ ■ ■ **كان بدر صادقاً مع نفسه وأحاسيسه.. فعوض عن شعوره الداخلي بحب ستول وشعرها.**



■ عبد الرحمن شكري

الاضطهاد، ويحارب الظلم، وسوف يدخل من أحبه الجنة ويخلصه من العذاب، فرأى في ابتعاد النساء عنه كأنه المسيح، فأعجبته القصيدة ونظم قصيدة العودة إلى جيكور فيها:

من ينزل المصلوب عن لوحه ؟!

من يطرد العقبان عن جرمه ؟

من يرفع الظلماء عن صبحه ؟

ويبدل الأشواك بالغار

كان الشاعر صادقاً مع نفسه وأحاسيسه وعواطفه، فعوض عن شعوره الداخلي بحب ستول وشعرها عن حرمانه الداخلي بترجمة هذا الشعر.

كان الشاعر رقيق الخلق، حلو الصفات جميل المعشر، شأن أهل البصرة في تلك الفترة، وكان معه عدد من الطالبات المترفات من أهل بغداد.

ونشأ الشاعر محروماً من عطف الأم، ومات أول حب له وهو صغير، فهو بحاجة كبيرة إلى العطف والحنان، ولم يكن الشاعر غنياً مترقفاً، وكانت الفتيات يلبسن أجمل الملابس، ويرتدين أحلى الحلل، وهو في دور المراهق المتدفق حيوية وحباً وشوقاً، ولا يجد من تعطف عليه أو تتحدث معه؛ لأن المجتمع في تلك الفترة كان شديد المحافظة حذر الإحساس من العلاقات التي تتكون بين الطالب والطالبة. وزاد شعوره بالألم إحساسه بأنه قبيح الوجه، ولم يكن كذلك، وإنما بالغ في إحساسه به، وأكد له أصدقاؤه الذين يتفنون عليه قابليته الفذة؛ فقال أحد الشعراء:

لم يكفه قبيح الملامح رادعاً

وإذا به في العالَمين ينادي

أنا شاعر ملك البيان وإن لي

درراً وأحكاماً وإني الهادي

إن إحجام الطالبات عن الحديث معه للظروف الاجتماعية جعله يشكو من هذا الإحجام، وظهر ذلك في شعره بوضوح. ولم تكن النساء يخرجن إلا بالعباءة والحجاب الكثيف، وقد عرف الحزب الشيوعي حرمان الشاعر، وتفجر عاطفته ورغبته في التنفيس عن معاناته، فغمره بالمتع والشراب والجنس حسب اعترافاته. إن الشعور بالقبح هو الذي جسم في نفسه الحرمان، ورأى ابتعاد الفتيات عنه لهذا السبب، وكان يثور على نفسه، ويقف أمام المرأة، ويضرب نفسه بحذائه، وقد ظهر ذلك الحرمان في شعره، لكنه لم يجد من تبادله عاطفته، وإن الشعور بالإهمال النفسي جسمه إحساسه المرهف، وبخاصة أنه فقد الفتاة التي أحبها في الصغر، وتركت أعرق الأثر في نفسه الرقيقة، ولم يجد من تعوضه عن ذلك الحب البريء

الطاهر، وحرمانه من عطف الأم ورعايتها وحنانها دعاه إلى أن يتلمس هذا الحب في الخيال. فوجده في الشاعرة إديث ستول، وكان من أثر هذا الإعجاب بها أنثى وشاعرة أن نجد الرموز النصرانية واضحة في شعره، والأساطير من الإنجيل والأفكار التوراتية بارزة في ثنايا سطوره، كالصلب والقتل والتعذيب وآلام المخلص، وورد اسم اليعازر الإسخريوطي، والكنيسة والتعليق بالمسامير ونزول الدم من جرح المسيح، ووضع الشوك بدلاً من التاج على رأسه، ولو جاءت في شعر أديب غربي لكانت طبيعية؛ لأنه يقرأ الإنجيل ويلزمه منذ طفولته.

ولو أن بدرًا اعتمد على الأساطير العربية والتراث الضخم وأصالة هذا الأدب وطوره لكان تجديدًا، بخلاف السيدة نازك الملائكة التي حافظت على الديباجة العربية وجددت بكل رفق وتؤدة، وبحدود مقبولة، إضافة إلى حسها الموسيقي المرهف، لأنها تعزف على العود وتتذوق الأنغام الجميلة. لهذا فإن بدرًا أكثر إحساساً بالتجديد والتطور لأنه أكثر اتصالاً بالشعر الانجليزي، وكان شديد العناية بدراسته، وتتبع تطوره وتجديده، طالباً وتأثر به شاعراً.

لما أراد أن يطبع ديوانه الأول «أزهار ذابلة» كان في ذهنه حركة التجديد السابقة، وكان يعرف بأن رفائيل بطي أحد زعماء دعوة التجديد؛ فطلب منه أن يكتب له مقدمة الديوان؛ لأن رفائيل بطي اعتنى بالحركة وسخر مجلته. (الحرية) لها ونشر آراء أمين الريحاني.

وفي (أزهار ذابلة) المطبوع عام ١٩٤٧ قصيدة جديدة بأوزانها وقوانينها تجمع بين البحور والمجزئات، وقد اختلفت التفاعيل ذات النوع الواحد، كما اختلف عددها من بيت إلى آخر، وكان حراً في النظم حتى آخر القصيدة فقال:

هل يكون الحب أني

بت عبداً للتمني

أم هو الحب اطراح الأمنيات

والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة

واحتفاء العين بالعين انتشاء

كانثيال عاد يفني في هدير

أو كظل من غدير

وفي تقديم رفائيل بطي قال: (إنه يحاول جديداً في قصيدته (هل كان حباً) ويأتي بالوزن المختلف وبنوع من القافية محاكياً الشعر الإفرنجي، فعسى أن يعمن في

■ جيل الفترة بين

٤٠، ٥٠ من هذا

القرن أخذ

يدرس العلوم

المختلفة مع

اللغة

العربية . .

فتحيفت اللغة

العربية .

■ أراد بدر

التخلص من

شعوره الداخلي

فنفس في

شعره عن ألمه

ليتخلص من

القنوط

النفسي .



■ محمّد فريد أبو حديد

واقعية بالرغم من إعجابها بشعره، وفقره أدى إلى أن تتزوج رجلاً غنياً والحق أنه جميل، فجمعت بين المال والجمال، وتلك حالة المرأة في أكثر الزيجات؛ فهي تفضل المنصب والجاه على الحب، فقد كانت نريمان مخطوبة لطبيب ناجح، ولكنها رجحت الملك فاروق على حبها، ولما سألها الناس قالت سأكون ملكة ومع الطبيب سأكون زوجة الطبيب.

أراد الشاعر أن يتخلص من شعوره الداخلي، فنفس في شعره عن ألمه الداخلي، ليتخلص من القنوط النفسي. وإن شعوره بالقبح تجسم عنده؛ لأنه لم يجد من تبادله الحب وتعطف عليه، وبخاصة تلك الفتاة الجميلة التي أثرت المال والجمال عليه، فجاء اسمها تارة لمعة مثل (لمعة الأمواج) واستمر حبه لها حتى بعد الزواج لهذا قال:

ولكن كل من أحببت قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ
عشقت سبعا ترف أحياناً
ترف شعورهن عليّ تحملني
إلى العين

ويصر على حبه وغرامه فيقول:

سأهواك حتى نداء بعيد
تلاشت على قهقهات الزمان
بقاياها من ظلمة من كل مكان
وظل الصدى من خيالي بعيد
إن عقدة القبح والشعور بالنقص
ولداً في جيکور والبصرة وبرزا
في بغداد فكان هذا الشعور مدعاة إلى
السمو والنقص والتجديد الفني
والإبداع الشعري. والمجتمعات المتخلفة
لاتعرف المكانة إلا للسلطة والجاه. ولا يجد الشاعر المبدع
أمله في الحياة.

جراته في هذا المسلك المجدد) إذن ليست من المصادفة أن يضع داعية التجديد المقدمة، فقد كان رفائيل يدعو إلى ترك القافية والوزن تحت شعار (العصرية) والدعوة لها. وإنما كان بدر يعرف هذا معرفة جيدة عندما نظم القصيدة ووضع تاريخها ١٩٤٦/١١/٢٩م.

إن جيل هذه الفترة بين الـ (٤٠ - ٦٠) من هذا القرن أخذ يدرس العلوم المختلفة مع اللغة العربية فتحيفت اللغة العربية، وكان جيل الرصافي والزهاوي وقف حياته عليها دراسة وحفظاً.

وكانت العلوم الأخرى تدرس على الهامش، فكانت هذه العلوم جزءاً من الفكر الجديد، الذي فرضته الحضارة الجديدة علينا؛ فأخذت في تلوين ثقافتنا وتكوين الفكر الأدبي؛ فكان المحصول اللغوي أقل من محصول جيل الرصافي والزهاوي وخيري الهنداوي ومحمد رضا الشبيبي وعبد المحسن الكاظمي، ولما جاشت العواطف كانت المفردات أقل من مفردات الجيل الرائد، لذلك حاولنا الخروج على القوافي لضعف فكرنا اللغوي، ولما أصدرت أول مجموعة شعرية لي وأنا طالب في الإسكندرية تسرب مثل هذا في شعري، وأحسست به فكتبت في مقدمة (في ضمير الزمن) وكأني ألقت نظر القارئ (كان فيها شعر جديد نظمته على ذوقي وحسي وكنت أعرف أن هناك شيئاً جديداً فيه ولم اطلع على الحركة الشعرية في العراق، ولما ظهرت الضجة لم ادخل فيها لأنني كنت أواصل دراستي، وليس هذا الشعر مما أكثرته به، وليس هو كل ماعندي من إنتاج) وقد عد الشاعر الكبير صالح جودت رحمه الله ذلك ريادة للشعر الحر في مقالة له في مجلة المصور وضعتها مقدمة للمجموعة في الطبعة الثانية والثالثة.

■ أثر حب بدر في شعره:

إن الحرمان من الحنان والشعور بالنقص من القبح عاملان كبيران في تجديد الشاعر بدر، فقد حرم منه صغيراً وفي حياته الدراسية مرت به عدد من الجميلات أحس بإهمالهن له، ولعل من أبرز هذه الحسان الشاعرة لميعة عباس عمارة التي رفضت الزواج منه، مؤثرة شعرها على زواجها، واعتدادها بإبداعها على حب سوف يزول بالزواج كما ظنت، وقد أكد هذا الشعور في نفسه رفض أكثر من فتاة جميلة أحبها أو مبادلة هذا الحب، فقد كان أحب فتاة في (دار المعلمين العالية) ثم انتقلت إلى كلية الحقوق، وكان يسلمها الشعر بيده، لكن هذه الجميلة كانت